المنار
١٣١٥
يبحث فيه الحكم من بناء وفي بعض
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
البقرة ٢٦٩ القرآن الحكيم
فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر فيوم السبت غرة ربيع الثاني سنة ١٣١٨ — ٢٨ يوليه (تموز) سنة ١٩٠٠)

هانوتو والاصلاح الاسلامي

ألم المسلمين من مقالات هانوتو . عظمة امر فريضة الحج . رأيُ كيمون في نسف الكعبة ونقل القبر المعظم عليه كثيرون من الاوربيين . حاجتنا الى معرفة رأي الاوربيين فينا . وفاء كتاب الاسلام الذي عربه فتحي بك زغلول بهذا الغرض . اوربا والاسلام . خطأ الاوربيين في اتهامهم ايانا بالسعي في ان يكون لنا حاكم واحد . قولهم ان الدين الاسلامي يحول دون تقدم المسلمين . مناقشة هانوتو في رده على كيمون . الفصل بين السلطتين السياسية والدينية . سيرة فرنسا في الجزائر وتونس . النسبة بين الصلاة والحج . المساواة في الاسلام . حقيقة اثر الاسلام في التقدم والتأخر . الرأي في ازالة سوء التفاهم بين اوربا والمسلمين

نشرت مقالات هانوتو في (الاسلام) فما بلغت البلاد الاسلامية الا وقامت لها وقعدت وأشدّ ما أمضّها منها وجرح وجدانها هو ما نقله عن (كيمون) من التحريض على نسف الكعبة المكرمة ونقل القبر المعظم الى متحف اللوفر ومن وصف الاسلام بالاوصاف القبيحة الشائنة وما صرح هو به من رغبة اوربا في الحيلولة بين المسلمين وبين اداء فريضة الحج

التي هي من اركان الدين الاسلامي لا من اعماله المندوبة او المستحبة ولا من الواجبات المخيّر بها المكلف . ولو ان ماجاء في تلك المقالات هو رأي كيمون وحده او رأيه ورأي هانوتو معاً لما كان لنا ان نلقي اليه بالاً او نعده بلاءً وويلاً ولكنه رأي الكثيرين من الكتاب والسياسيين . ومن البلاء الاكبر اننا نجهل هذا وهو من اسوأ انواع الجهل واقبحها واشدها ضرراً ووخامة عاقبة لأن بغض الامم الاوربية واحتقارهم لنا ماجاءنا الا من هؤلاء الكتاب والسياسيين القابضين على ازمة النفوس والمتصرفين في الوجدانات والعقول . وقد ذقنا مرارة هذا البغض والاحتقار وربما كان ما سنلاقيه من الألاقّ (الدواهي) اشد مما لاقيناه في الماضي

علم عقلاؤنا شدة حاجتنا الى الوقوف على اعتقاد الاوربيين فينا فقام صاحب الهمة العلية والغيرة الملية احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر بترجمة كتاب من الكتب التي ألفوها في الاسلام (١) ليكون عبرة لنا وباعثاً لهمائنا وكتابنا على الدفاع عن حقيقتنا ببيان حقيقة الاسلام لهم ليزول سوء التفاهم وباصلاح شؤوننا حتى لا يكون لهم حجة علينا فلم يكن من بعض اصحاب الأنظار القصيرة والآراء الافنية الا ان نفروا ونفّروا من قراءة الكتاب المذكور زعماً منهم ان تعظيم الدين ومن جاء به انما يكون بجهل ما يقوله خصماؤه فيه وما يريدونه من السوء به ومن هؤلاء الاغرار من خطأ المؤيد بنشر ترجمة مقالات هانوتو الاخيرة

---

(١) هو كتاب عنوانه (الاسلام — خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنري دي كاسترى وهو من أحسن الاوربيين الذين كتبوا في الاسلام رأياً واحسنهم فيه فهماً واعتقاداً واحسنهم عنه دفاعاً ولكنه يعرفنا جميع خطأ المخطئين وعيب العائبين

دع هؤلاء الغافلين فى جهلهم الذى سموه تعظيماً وهلمّ بنا للبحث فى هذا الموضوع الذى هو اهم مصالح الاسلام والمسلمين ـ موضوع العلاقة بين اوربا والاسلام وما يريده القوم منا وما نريده منهم وما نريده من انفسنا تجاههم . تنهم اوربا كتاب المسلمين بانهم قاموا فى هذه السنوات الاخيرة يطالبون اخوانهم فى جميع اقطار الارض بالاتحاد والاجتماع تحت راية واحدة والسعي فى ان يكون حاكمهم كلهم واحداً منهم فحزبها هذا الامر وأهمها لان غايته نزع المستعمرات الاسلامية من مخالب الدول المسيحية وقد كتبنا فى الجزء الحادى عشر من هذه السنة مقالة عنوانها (اوربا والاصلاح والاسلامى) بينا فيها ان كتاب المسلمين لا يطالبونهم فى هذه الايام الا بمجاراة الامم الحية فى العلوم والاعمال وما خطر على بال احد منهم ان يحضهم على السعي فى ان يكون لهم حاكم واحد وكلٌّ يعتقد انه لا سبيل الى ذلك . والآن نعيد القول بمناسبة ما جرى بين موسيو هانوتو وسعادة بشارة باشا نقلا ونشر فى جريدة الاهرام منذ ايام . وأهم ما فى تلك المذاكرة امور

(احدها) قول هانوتو للباشا « أنا لم أكتب الا الى ابناء وطنى الفرنسويين ولم استشهد بكيبون وهو يوناني الجنس الا لأفند اقواله التي لم ينفرد بها فان كثيرين من الكتاب الالمانيين والفرنسويين والانكليز وغيرهم حذوا حذوه وقالوا قوله وخلاصة كتاباتهم ان تقدم المسلمين مستحيل ونجاحهم بعيد لان الاسلام معتقدهم يحول دون ذلك وحجة هؤلاء واحدة وهى انه كلما تقدمت اوربا تأخر الشرق لان الواقف يتأخر بقدر ما يسير الماشي وان كل حكومة انفصلت عن الشرق سارت على

منهاج أوروبا علما ومدنية فنجحت مع ان العثمانية وافغانستان ومراكش والعجم لاتزال على ما كانت عليه في السنين الغابرة وانا ذكرت من هؤلاء الكتاب كيمون وحده ليعرف المسلمون ما يقال عنهم ولأفند مزاعم هذا الرجل وغيره من الكتاب الذين على رأيه لاعتقادي ان الاسلام لايحول دون الاصلاح والمدنية واستشهدت على صحة معتقدي هذا بتونس فذكرتها مثالا أؤيد به اقوالي وسياستي. هذه هي روح كتابي السابقة وانها ستكون روح اللاحقة » ثم ذكر أن مغزى كتابة هؤلاء لاتخرج عن اعادة الكرات الصليبية . ونحن نقول انه لم يفند رأي كيمون الا من هذه الجهة جهة التحريض على الحرب الصليبية لما في ذلك من الخطر على العالم كله فان مناوأة ثلاثمائة مليون مسلم (او مجنون كما يقول كيمون) يتمنون الموت في سبيل الدين ليس بالامر الهين والسهل . ولكن فلسفته في عقائد الدين الاسلامي كان من معناها ان المسلمين او السامين عامة لايمكن ان يجاروا المسيحيين او الآريين لأن طبيعة عقائدهم لاسيما القضاء والقدر تحول دون ذلك . وذكر ان تمسك المسلمين بدينهم المقتضي للتأخر يسهل على اوربا ان تحل رابطته وتفصم عروته واستشهد على هذا بان فرنسا تمكنت من فصل تونس عن مكة وذلك بمنع اهلها من أداء فريضة الحج الشريف

(ثانيها) مسألة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسة وهي اهم المسائل التي تطلبها اوربا من المسلمين . والجرائد التي تدعو الشرقيين او المسلمين الى مدنية اوربا تجتهد في اقامة الحجج على ان النجاح موقوف على هذا الفصل وربما كان فيهم من يعتقد ذلك حقيقة وقد كتبنا في هذا غير مرة ومن ذلك مقالة عنوانها (الدين والدولة والخلافة والسلطنة) بلغنا

ان قناصل الدول فى القاهرة ترجموها وارسلوها الى اوربا . وليس من غرضنا الآن الا مناقشة موسيو هانوتو للوقوف على حقيقة مراده . قال فى حديثه مع نقلا باشا بعد كلام فى المسألة « وهذا ما نريد تأييده نحن الفرنسويين فى مستعمراتنا بان يكون الامر المطلق للسلطة الحاكمة مع احترام عقائد الشعوب الذين تحت حكمنا وسلطتنا وهو ماسرنا عليه فى الجزائر وتونس وغيرهما من المستعمرات الفرنسوية » ونحن نقول ان المسلمين يكتفون من الفرنسويين وغيرهم من المتسلطين عليهم من الاوربيين بان لا يتعرضوا لشيء من امور دينهم ولكن الفرنسويين منعوا الحج من القطرين واستولوا على الاوقاف ومنعوا حقوق الحرمين الشريفين منها . وذكر العلامة الشيخ محمد بيرم فى رحلته (صفوة الاعتبار) انه لم يبق فى مدينة الجزائر الا اربعة جوامع . ولقد عارض الباشا هانوتو مذكراً له بان اهل الجزائر غير راضين عن فرنسا فاعترف بذلك ووعد بالكتابة فيه واكد القول بان اهل تونس راضون باصلاح فرنسا بلادهم لاحترامها جوامعهم وعقائدهم واحوالهم الشخصية وهى راضية منهم باحترام سلطتها السياسية . واذا كان هذا القول صحيحاً فما هو الا لانهم يعتقدون ان منع الحج امر عرضي مؤقت الغرض منه المحافظة على الصحة وانهم يتوقعون فى كل عام الاذن لهم باقامة هذا الركن الاسلامى العظيم . فاذا علموا بعد ذلك بان الغاية منه فصل تونس عن مكة فلا يمكن ان يرضى منهم واحد بذلك ولا بد ان تظهر آثار السخط عليهم اجمعين اذ لا فرق عندهم بين ان يمنعوا من دخول المساجد لأداء الصلاة وبين ان يمنعوا من دخول الحرم الشريف لاداء الحج بل المنع الاخير اشد جناية على الدين لان الصلاة يصح ان

تؤدى فى البيوت والطرق وكل مكان واما الحج فلا يصح الا فى مكة المكرمة . فاذا كان ما يقوله موسيو هانوتو حقاً فما على حكومته الا ان تثبته بازالة المنع من الحج وبدون هذا لا يمكن ان يصدق هذه الاقوال احد من قارئيها على انهم اقل القليل . ان الامة الاسلامية اصبحت اسوأ اعتقاداً بفرنسا من سائر الدول بسبب منع الحج لان لاهل الجزائر وتونس شؤناً خاصة فى بلاد الحجاز تستلفت اليهم جميع الشعوب الاسلامية وذلك فى اجتماعهم ومدافعة بعضهم عن بعض وكلامهم وعاداتهم وقد نقل الينا انهم افتقدوا بعد المنع فى عرفات لاسيما فى هذه السنة وكان حديث الحجاج ان فرنسا منعتهم من اداء فرضهم غلواً فى التعصب على الاسلام

يسهل على هانوتو وغيره ان يقنع بعض من يقرأ كلامه من المسلمين بالادلة النظرية على حسن قصد فرنسا بمنع الحج فى هذه السنين ويتعذر عليه وعلى كل احد ان يقنع العالم الاسلامى بذلك ولكن يسهل على فرنسا هذا الاقناع بازالة المانع كما قلنا

(ثالثها) قول موسيو هانوتو ان اوربا لاتسعى الا لمصلحتها السياسية وانها ستتفق على المسائل الشرقية اتفاقها الآن على دولة الصين وان من جهل كتابنا التحيز للالمانيين لنكاية الانكليز والانتصار للفرنسويين على الالمانيين (مثلاً) وهذا القول صحيح وهو موضع العبرة لمن يعتبر والعظة لمن يعقل وقد بالغ هانوتو فى تبرئة اوربا من التعصب الدينى على المسلمين وخطأ الذين يدعون هذا محتجاً بحرب القريم وغيرها فاذا سلم له المسلمون احتجاجه وقالوا اننا لاثقة لنا باوربا ولا يمكن ان نأمن لها ونطمئن بوعودها لانها طامعة فى بلادنا وعاملة على نزع استقلالنا بعامل المصلحة والسياسة

لا بعامل الاعتقاد والدين فهل يمكن لهانوتو ان يزيل هذا العذر بفصاحته بعد ما اثبت اسبابه بصريح قوله ؟ ؟

(رابعها) قول ثقلا باشا لهانوتو « المسلمون يعتقدون ان مصلحة اوربا المسيحية تخالف مصلحتهم الاسلامية ولذلك لا يأمنون على انفسهم من سياسة الدول المسيحية وقد أدى بهم فقدان هذه الثقة الى ان لا يأمنوا مسيحياً عثمانياً ولو اخلص لهم الخدمة وصدق معهم » قوله هذا مبالغ فيه فان المسلمين كانوا ولا يزالون يقلدون المسيحيين المناصب العالية ويثقون بمن يصدق ويبر بالامانة وانظر كيف كان رستم باشا موضع ثقة الامة الاسلامية وامامها الاعظم السلطان عبد الحميد وانظر الى كثرة الموظفين فى الدولة العلية من الارمن على خيانتهم وثوراتهم المتعددة وانظر الى الحكومة المصرية كيف كانت تقدم المسيحيين ولو غرباء على المسلمين المصريين اصحاب البلاد ولكن تكرار الخيانة يعلم البليد الحذر

(خامسها) قول موسيو هانوتو انه كان يجب على المسلمين الذين عركتهم حوادث السنين او الذين درسوا فى اوربا ان يهتموا بنشر العلوم العصرية فى بلادهم وان يسعوا فى ازالة سوء التفاهم بين الشرق والغرب بأن يتلو تلو اوربا فى الاجتهاد والاقدام كما فعلت اليابان . ومن الاسف ان هذا الرجل على سعة معارفه باحوال عصره لمّا يدر بان عقلاء المسلمين وكتابهم قد جعلوا كل عنايتهم فى هذا الامر النافع وقد صدق فى قوله ان التعليم لا يفيد اذا لم يصحبه التهذيب وفى قوله ان المتعلمين فى اوربا منا ربما كانوا اكثر من الذين تعلموا فيها من اليابان ولكن ظهرت فى اليابان نتيجة لم يظهر مثلها عندنا

(سادسها) ما ختم به قوله من ان النجاح مشروط « بخدمة الوطن خدمة منزهة عن كل غاية شخصية او مذهبية (قال) لان الوطن الواحد قد يجمع اكثر من عنصر ومعتقد ولكن الاعتقاد وحده لا يجمع الا عنصراً واحداً — الى ان قال — لهذا كانت الرابطة الوطنية اعم وأشد من الرابطة الدينية وهي التي كانت قاعدة اوربا وبها تقدمت وتمدنت ونجحت » ونحن نقول ان هذا القول لا يصدق على الدين الاسلامي فان الرابطة الاسلامية لها طرفان طرف روحي يضم ابناء الدين ويجعلهم اخوة بعضهم اولياء بعض في الدين وطرف مادي اجتماعي يضم مع المسلمين غيرهم من العناصر ما عدا المحاربين الذين لا عهد لهم ويجعل الجميع سواءً في الحقوق لا يفضل المسلم مهما كان عظيما على غير المسلم مهما كان حقيراً وبهذا يمكن ان تعمر البلاد وتسعد العباد وقد اوضحنا هذا البحث في مقالة نشرت في المجلد الثاني من المنار عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) ونوّهنا به في مقالات أخرى كثيرة .

ولا يمكن لكتاب المسلمين ان يجعل كل واحد منهم ارشاده لاهل بلاده خاصة لان تأخرهم لم ينسب الى بلادهم وانما هو منسوب الى دينهم وهم يوافقون كتاب اوربا على قولهم ان للدين اقوى الاثر في هذا التأخر ولكنهم يخالفونهم في وجهه فاولئك يزعمون ان طبيعة الدين تقتضي هذا ونحن نوقن ان طبيعته تقتضي التقدم وان التأخر ماجاء الا من الانحراف عن سننه ولبسه كما يلبس الفرو مقلوباً (كما قال الامام علي كرم الله وجهه) وقد بينا هذا من قبل في مقالات كثيرة ولكن صوتنا لا يصل الى هانوتو وامثاله من السياسيين والكتاب الاوربيين ولا ينقل لهم الوسطاء بيننا

وبينهم الا اقوالاً مقتضبة مختزلة يستثيرون بها إحنتهم علينا ولو نقلوا اليهم كتابة من يعتد بكلامهم ويوثق بمعرفتهم للاسلام لقبله المنصفون وزال سوء التفاهم الذي تمناه كما تمناه هانوتو وغيره من العقلاء او أشد تمنياً وربما كان فيه الخير للفريقين فعسى ان نصل الى هذه الامنية بالجرائد الشرقية التي تنشر باللغات الاوربية كالمؤيد الفرنسوي في مصر ومحمدان ومسلم كرونكل في الهند وغيرها من الجرائد المسيحية المنصفة والله يجزي المحسنين

باب التربية والتعليم

﴿ باب الولد من كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٠) من اراسم الى هيلانه في ٣ يونيه — ١٨٥

ان معظم من كتبوا في علم التربية يغالون باصول علم الاخلاق ويرفعون من شأنها وانا مثلهم اعتقد ان المواعظ الحسنة وقواعد التهذيب المفيدة قد تبعث العزائم في بعض الاحوال على القيام بصالح الاعمال ولكني لا اعتقد ان ما يلقفه الناشئون منها من افواه معلميهم في دروسهم يغير طباعهم تغييراً حقيقياً وهيهات ان اعوّل عليها في ذلك فاننا نرى كل يوم في المجتمع الانساني اناساً من الظرفاء الاكياس حفاةً غُلف القلوب على أنهم لم يحرموا من النصائح العامة الداعية الى التحابّ والتراحم المرغبة في لذة الاتصاف بهما فما من فاسق او شرير او بخيل الاّ وقد سمع الف مرة من السنة الوعاظ قولهم «كن حكيما مهذباً تكن عزيزاً مغتبطاً»(١) «لا تفعل بغيرك

(١) الحكمة واردة في امثال سليمان عليه السلام في التوراة بهذا النص وهو